مواقف على حدود الذاكرة 1 :

10|5|2014 : العاشرة .

منتصف الليل :

لفتت دلفين انتباهي إلى فيلم محمد ملص الجديد ، سلم إلى دمشق ، الذي يعرض في الضاحية الباريسية سان دوني ، شاهدت الفيلم الذي يفتح جروحاً غائرة في ذاكرة السوريين ، ويصبح وجودهم هنا للمشاركة في عزاء ، أو إقامة مأتم ، وليس كحضور آخر . شخصيات مسكونة بالخوف والقلق والضياع ،في عمق الحدث ولكن في زوايا منغلقة غالباً ، ضمن جدران المنزل ، أو في ركن منعزل على البحر . ويبدو الأمل بعيداً ، بقدر ما كان المخرج يريد إضفاء طابع رومانسي محدود ، فقد بدا كل لو إنه يعزف الغيتار في ساحة حرب ، ممثلون جدد يتدربون ، وإحساس شديد بعائق يقف دون المخرج ، هو عائق الرقابة والعين الضخمة المسلطة . كلنا يعرف كيف يجري إنجاز عمل فني أو ثقافي في سورية ، إن أردت ذلك من داخل ، فيجب التفاوض حول هذا النقد ، ندخل في عملية تجارية متبادلة ، شيء مقابل شيء ، لا يسمح لك النظام بنقده كما يحلو لك دون مكسب سياسي ، وهنا نلمس ذاك واضحاً ، فقد فتح المخرج صوت الرئيس بشار على خطاب له رسمي ، وهو يلقي على الحضور المواعظ والحكم الأخلاقية والوطنية ولو بصوت منخفض ، أما العاقل المنتبه لما يقول الخطاب فيتساءل ، وماذا فعل صاحب الخطاب لقاء هذه المواعظ التي تلقى على الناس ؟. إنه يبدو في صورة مزرية ساخرة كما لو أنه يسخر من عقول الناس أو يسخر من نفسه . من هنل يولد التناقض في الموقف ، في العبق السيريالي العابث بالقيم والمبادى وأبسط مقومات حقوق الإنسان ، والسياسة ، والأخلاق التي يتحدث عنها دون خجل . لعل المخرج أراد عرض هذه الأفكار المتضاربة ، وأفهم النظام شيئاً آخر ، أنه يأخذ بتوجيهات النظام في سبيل إيصالها إلى الناس والعالم . ومع ذلك ، يبقى السؤال قائماً إزاء هذا المخرج الذي فرط بجزء كبير من موهبته ، في إصراره على البقاء داخل سورية . هذا البقاء الذي انعكس سلباً على مستوى السينما السورية عموماً كرائد من روادها الأكثر حداثة وفهماً وعملاً وموهبة . يقولون ، هناك أناس لا يستطيعون العيش خارج أوطانهم مهما كلفهم ذلك من سبب ، أنا أفهم هذا النمط ، وآسف له جداً حين يكون المعني ذا شأن كبير في مجال السياسة أو الثقافة أو القيادة ، عندها لا تكون الخسارة شيئاً شخصياً بحتاً بل مصيبة تصيب المجتمع والدولة ،ومصير الناس . هناك بضعة أسئلة في المقابل تُطرح ، فالرجل وأمثاله يقولون أيضاً ، وماذا فعل من هو خارج الوطن ؟!. بالطبع الجواب مخيب للآمال . والحال في مجملها مرتبطة بوضع السياسية الدولية إزاء الثورة والأزمات السورية المتلاحقة . سيجيب محمد ملص على السطر الأخير بقوله ، إذاً لماذا تطلبون مني المستحيل ؟!. ونعطيه بعض الحق ونخرس . المشكلة متعلقة بالسياسة الدولية ، ولعل شأن المخرج الذي درس في موسكو أيام الحرب الباردة مازال يتمتع بتلك الميزة ، لأن العراب الروسي ، عراب النظام وحاميه الأول ، له حصة الأسد مما لدى المخرج من إمكانات وموهبة ، ولعله السبب الذي أبقى الرجل على قيد الحياة ، ومنحه بضع بوصات يتحرك خلالها على سلم الشهرة وهامش العمل الإبداعي الحرّ . السلم الصاعد إلى دمشق .